البحث
٣

قضية الوقت فى المجتمع المصرى بين المفهوم والتخصيص

اعـــداد

د / أمل فضل حركه

قسم الاجتماع – كلية الآداب – جامعة طنطا

قضية الوقت في المجتمع المصري بين المفهوم والتخصيص

د. أمل فضل حركه
قسم الاجتماع - كلية الآداب جامعة طنطا

تمهيـــد:

إن مقولة الزمان هى إحدى مقولتين قديمتين جداً هما مقولتا الزمان والمكان. فقد ظهرتا عند كثير من الفلاسفة، الذين ذهبوا إلى أن العالم الخارجى أوالكون cosmos سلسلة من الظواهر يستحيل منطقياً حدوث أيها خارج نطاق الزمان والمكان. وقديماً أشار هيراقليطس إلى أنه لاوجود خارج إطارهما، حين قال: لاشيء فى هذا العالم يستطيع أن يتجاوز مقاييسه، وهذه المقاييس هى الحدود الزمانية والمكانية. أما الفيثاغورية فقد رأى مفكروها أن «العالم قد وجد أصلاً بفضل ماله من حدود زمانية مكانية»، والخلاصة أنهما «إطار الوجود الذى عهدناه». وحين وضع أرسطو المقولات العشر categories جعلها أولاً الجوهر ثم أعراضه التسع التى من بينها الزمان والمكان. ومن بين فلاسفة العصر الحديث، ذهب كانط Kant إلى أن الزمان والمكان «إطاران مفطوران فى صلب العقل الإنسانى الذى يقوم بعملية المعرفة، وهما فى نظره: صورتان قبْليتان أو شرطان للمعرفة، باختصار إطاران للوجود[1]. وبهذا نستطيع القول ان تقولب كل وجود فى قالب مامن الزمان والمكان هو بؤرة من بؤر الوعى الإنسانى فى كل مستوياته: من الحس المشترك إلى التفكير العلمى إلى الفكر الفلسفى.

ومع ذلك، فإننا إذا تركنا مجال الفكر الفلسفى، وجدنا أن «الوقت» متغير مفتقَد فى التحليل الاجتماعى الحديث إلى حدّ كبير، إذ أن معظم الاجتماعيين يعاملون الوقت على أنه ملمح ثانوى أو عارض فى أبحاثهم بدلاً من إبرازه على أنه موضوع أساسى فى حدّ ذاته. باختصار، فإنهم إما يستبعدون الوقت كمتغير له دور فى تفسير الأوضاع explanatory variable أو أنهم يقدمونه كمبرّر يقوم بدوره فى مرحلة لاحقة.

أولاً: المفهـــوم

ولكن إذا كانت مقولة الوقت لم تحظ من الاجتماعيين - على المستوى العام - بالاهتمام كموضوع أساسى، إلاّ أن عدداً منهم قد أسهم فى هذا المجال بدراسات ينبغى إبراز قيمتها. وفى هذا المجال فإن أصول أية معالجة سوسيولوجية حقيقية للوقت نستطيع أن نشهدها فى أعمال دوركايم Durkheim وأتباعه أمثال هيوبرت Hubert وموس Mauss اللذين أكدا على الطبيعة

الإيقاعية للحياة الاجتماعية من خلال تطوير مفهوم «الوقت النوعى أو الكيفى» qualitative-time فى مقابل الوقت كمجرد زمن يمرّ . ولقد أكدّ دوركايم فى هذا المجال على أن الوقت ظاهرة جماعية collective phenomenon هى فى حدّ ذاتها نتاج الوعى الجمعى collective con-sciousness. وهكذا يكون الوقت فى نظر دور كايم، هو أحد التصنيفات الاجتماعية للفكر، بعبارة أخرى هو نتاج للمجتمع(٣).

أما فيما يخص علماء الاجتماع الأمريكيين، فإن أعمال سوروكين Pitrim Sorokin وميرتون R.Merton تضمنت بعض الدراسات الخاصة بالوقت الاجتماعى social-time ، وهم يؤكدون، كما أكدّ أصحاب المدرسة الفرنسية (دوركايم وأتباعه)، على الطبيعة النوعية (الكيفية) للوقت. وهم هنا لايكتفون بأن يستمدوا أفكارهم من علم الاجتماع الدوركايمى، بل من أعمال بعض الأنثروبولوجيون أمثال: كوردينجتون Cordington وهودسون Hodson ونيلسون Nilson وبست Best وكروبير Kroeber،ت وهم يؤكدون هنا، على ما أكّد عليه دوركايم، من أن الوقت هو إيقاع للحياة الجمعية. ويضيفون إلى ذلك أن هذه الصفة تتأتى من معتقدات وعادات الجماعة، بعبارة أخرى هى نتاج لثقافة الجماعة، كما نجد أن سوروكين وميرتون يخطون خطوة أخرى فيميّزان بين الوقت الاجتماعى social-time والوقت الفلكى astronomical-time(٤).

فإذا وصلنا إلى جيرفيتش Georges Gurvitch، فإننا نجد أنه دفع بهذه الخطى إلى آفاق جديدة فقدم فى أعماله محاولات بعيدة المدى ليحدّد الخواص المختلفة للوقت الاجتماعى وذلك فى عام ١٩٦٤. وقد قام فى هذا المجال بدراسة بالغة التفصيل ليقدم ثمانية تصنيفات للوقت لكى يوضح مدى التعقيد «الزمنى» للمجتمع الحديث الذى يرتبط بنظام الطبقات. ولقد أوضح أيضاً أن من خصائص الثقافات أنها خليط أو مزيج من «الأوقات» المتضاربة أو المتعارضة(٥). وجيرفيتش مثل مثله دوركايم، يميّز بين «الوقت الاجتماعى ضيق المدى» micro social time، وهو الوقت الذى يتصل بدائرة محددة والذى يميّز الجماعات والمجتمعات المحلية، وبين «الوقت الاجتماعى واسع المدى» أو الذى ينسحب على دائرة واسعة macro social time والذى يعتبر من خصائص الأنساق والمؤسسات. وهو يؤكد على تعددية الأوقات الاجتماعية لدى الطبقات المختلفة للمجتمع، ويقول إننا نجد هذه التعددية سواء فيما يتعلق بنطاق الوقت أو فيما يتعلق بمستوياته.

وهكذا نستطيع أن نقول إن لغز الوقت هو لغز الحياة، ولقد ألحّ هذا اللغز على الشعراء والفلاسفه منذ بدايات التفكير الحضارى لأننا نعيش الحياة فى «الوقت»، ولايوجد وقت بدون حياة، بل إن كل فرد منا يعيش وقته الخاص، وإذا «جمع» وقت واحد بين شخصين فليس معنى

ذلك أنهما «يعيشان» بالضرورة نفس الوقت - وهذا يعني، في المحصلة الأخيرة، ان كل فرد يعيش في فترة معينة له منظوره الخاص للوقت وله تواصله الخاص بالماضي والحاضر، يختلف محتواه ونطاقه من شخص لآخر، مثل اختلافهما في المظهر والبصمات والسمات الشخصية والرغبات بل في كل كيانهما.

وفي الحقيقة فإن جريان الوقت وتدفقه يجعل من الصعب الإمساك به، بل من الأصعب أن نصفه ونفسّره، والسبب في ذلك هو أننا إذا حاولنا أن نصف الوقت ببعض الكلمات لوجدنا أن هذه الكلمات تجعله يقف ساكناً والوقت ديناميكي متحرك، والكلمات ستاتيكية ساكنة وهكذا فإن «الكلمات تقتل الوقت» كما يذكر هيجل(٧).

* * *

هذا، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشعوب والمجتمعات المختلفة لاتتبع نفس أساليب التوقيت (شأنها في ذلك شأن مقاييس المسافات) - والحديث عن مقولة المكان هنا هو من قبيل تدعيم مقولة الزمان. ففكرتا الزمان والمكان لدى الشعوب البسيطة تختلف تماماً عنها في المجتمعات المتقدمة، فالزمان عندهم لايقاس بالساعات والدقائق، كما أن المسافة لاتقاس بالأميال أو الكيلومترات، وإنما يقاس الزمان والمكان بنوع النشاط الذي يمارس في وقت معين بالذات. فالمقاييس التي يتبعها المجتمع الحديث المتقدم والتي تؤخذ على أنها الزمان أو المكان الحقيقي لاتعتبر ذات أهمية أو جدوى بالنسبة للمجتمع البسيط أو البدائي لأنها لاتتفق وبقية ملامح الثقافة أو بقية إيقاعات الحياة(٨).

ولكن رغم هذا الاختلاف فإنّي أودّ، في البداية، أن نميز بين ثلاثة أنواع من الوقت من حيث تقسيمه وتوزيعه والعوامل المؤثرة في ذلك. وأول هذه الأنواع هو ما يمكن أن نسميه «النوع البسيط» الذي لايؤثر على قياسه إلاّ عامل واحد في أغلب الأحيان. وأقدّم في هذا الصدد دراستين: إحداهما للأنثروبولوجي إيفانز بريتشارد، الذي أجرى دراسة على مجتمع النوير، والدراسة الثانية قام بها الأستاذ الدكتور أحمد أبو زيد عن فكرة الزمان وطرق قياسه في الواحات المصرية(٩). ففي دراسة إيفانز بريتشارد بيّن لنا أن مفهوم الزمان عند شعب النوير حددّته لهم الظروف البيئية التي يعيشون فيها. وقد اضطر بريتشارد لأن يميّز بين نوعين من الزمان: الأول هو مايطلق عليه اسم الزمان الإيكولوجي (البيئي) ecological time ويقصد به كل التصورات التي هي انعكاسات لعلاقات الناس بالبيئة، والثاني هو الزمان البنائي structural time ويقصد به التصورات التي هي انعكاسات لعلاقة الناس بعضهم ببعض في البناء الاجتماعي(١٠). وكلا

النوعين يشيران إلى تتابع الأحداث التى لها أهمية خاصة بالنسبة للمجتمع. وهو يعتقد أن أهم مايميّز الزمان البنائى عن الزمان الإيكولوجى هو أن الزمان الإيكولوجى زمان «دورى» بمعنى أنه يتكررّ دائماً فى شكل دورات، وأفضل مثل لذلك هو الدورة السنوية التى تنعكس فيها تغيرات الطبيعة واستجابات الناس لهذه التغيرات.

أما دراسة الدكتور أبو زيد فتدور حول اعتماد سكان الواحات المصرية على حركة النجوم ومراقعها فى السماء ليس فقط لمعرفة الزمن، بل وأيضاً لتنظيم الرى من الابار الارتوازية وتوزيع المياه بين ملاك البئر الواحدة حسب أنصبتهم المختلفة فى حيازة هذه البئر. وبالرغم من أن الناس فى الواحات أصبحوا يعتمدون على الساعات فى معرفة الوقت إلاّ أن استخدام الطريقة التقليدية القديمة لايزال موجوداً وبخاصة بين الشيوخ وكبار السن فى المناطق البعيدة(١١).

أما النوع الثانى من قياس الوقت، فهو مانستطيع أن نصفه بأنه «نوع بسيط ولكنه متعدد المحاور» أو العناصر، أى أنه خال من الاعتبارات المتداخلة، ولكنه يتبع مع ذلك، أكثر من وسيلة لقياس الوقت وتوزيعه. والمثال الذى أقدّمه هنا هو مفهوم الوقت عند شعب التروبرياند Trobri-ands فى شمال غرب ميلانيزيا. إن هذا الشعب يقوم بممارساته وطقوسه وأنشطته المختلفة حسب تقويم زمنى محددٌ، وهم فى الحقيقة يستطيعون أن يرتبّوا لتوقيت معين قبلها بعدة شهور كما يستطيعون أن يحددوا الوقت ويعودوا بالذاكرة للوراء عدة أجيال. وربما كان فى التعرّف على مفهومهم للوقت من خلال عرض سريع مايلقى القدر اللازم من الضوء على هذا النوع من مفهوم الوقت.

ففى هذا المجتمع نجدهم يميزون بين ثلاثة أنماط من الزمن يعتمدون فى تحديدها على عدد من العناصر التى يمكن تصنيفها فى ثلاث مجموعات: **المجموعة الأولى** تعتمد على الفلك astronomical **والمجموعة الثانية** تعتمد على الأرصاد الجوية meteorological **والمجموعة الثالثة** ثقافية cultural.

والمجموعة الأولى تعتمد على ملاحظتهم للنجوم والشمس والقمر، **وأما الثانية** فتعتمد على التغيرات المتكررة فى الرياح والجو **والثالثة** تعتمد على الأنشطة والممارسات البشرية الموسمية(١٢).

وفيما يخصّ **المجموعة الأولى**، فإن القمر يلعب الدور الأهم فى حياة المواطنين أكثر من الشمس والنجوم - والربع الأول من الشهر القمرى يدعى القمر الذى لم يكتمل أو لم ينضج unripe moon، والربع الثانى يدعى القمر فى قمته أو فى علاه the high moon، والربع الأخير

يدعى فى الظلام الكبير in the great darkness. هذا، ونستطيع القول أن الربع الأول والربع الأخير لايوجد فيهما تسميات للأيام، ولكن من اليوم العاشر وحتى اليوم الحادى والعشرين فهناك إسم لكل يوم من هذه الأيام.

وفى الفترة من اليوم الثالث عشر وحتى اليوم الخامس عشر تقام الاحتفالات حيث يرقص الناس كباراً وصغاراً، وتطلب الفتيات هدية عند اكتمال البدر وتدعى بلغتهم الوطنية "yapila".(١٣)

أما **المجموعتان الثانية والثالثة** فهما مرتبطتان ببعضهما إلى حدّ كبير بحيث يمكن اعتبار المجموعة الأخيرة متداخلة مع سابقتها. وفى هذا الصدد نجد أن **المجموعة الثانية** تعتمد على تقسيم الرياح السائدة عندهم. فقسم من هذه الرياح يقع بين شهرى مايو ونوفمبر، والنوع الثانى من الرياح يقع مابين شهرى ديسمبر وأبريل، وأما الأيام الحارة فتقع مابين أشهر الفصلين السابقين أى مابين شهرى أبريل ومايو ثم مابين شهرى نوفمبر وديسمبر. ثم تأتى **المجموعة الثالثة**، وهى المتعلقة بالممارسات والأنشطة الموسمية فى هذا المجتمع، فنجد أن الزراعة تتم فى موسم الرياح المصحوبة بالأمطار، بينما يتم الحصاد وتنشيط التجارة فى موسم الرياح الجافة. هذا بينما يعتمد الصيد والملاحة، عندهم، على الأوقات التى يجدها ابناء المجتمع مناسبة لهاتين الحرفتين فى ضوء حركة الرياح السائدة(١٤).

وأصل الآن إلى النوع الثالث من هذه التقسيمات وهو مايمكن أن نطلق عليه تسمية «النوع المركبّ أو المتداخل» وهو النوع الذى تتداخل او تتكامل فيه عناصر متباينة لثقافات متعارضة فى الأساس. وأقدم فى هذا الصدد مثالين أحدهما من الجزائر والآخر من المغرب. ففى المجتمع الجزائرى نجد أن عنصرين متباينين يتداخلان فى قياس الوقت، أحدهما المفهوم الذى يسيطر عليه «كيان الجماعة»، بمعنى ماتتوقعه الجماعة من الفرد فى تصرفه، وهو الكيان الذى أنتج أداة الفكر التى أرست ونظمّت العلاقات الاجتماعية والخصائص المتعلقة بها بحيث انعكست مقومات كيان «الجماعة» على كل جوانب التجمع الجزائرى: الدين، السلطة، الاقتصاد، التربية والتعليم، بل حتى ماينتمى إلى عالم التخيلات الذى يرتبط بالمعتقدات الشعبية ومايتصل بها من طقوس وشعائر(١٥). أما المفهوم الثانى فهو يتبع ثقافة جديدة آتية من الخارج، وهو مرتبط بالانتاج بمعناه الشامل الذى يشمل الأفراد وأدوات الانتاج - وهو مفهوم لايزال المجتمع الجزائرى بعيداً عن تحقيقه. وهكذا يبدو الجزائرى وكأنه يقف بين عالمين أحدهما تقليدى والآخر حديث دون أن يستطيع أن يتوحد مع جوهر كل من الاثنين بشكل حقيقى. وهكذا يجد نفسه، فى موقف

لانظامى anomiquie، يكمن سببه فى الاقتلاع الدائم للجذور القديمة (دون أن يكتمل ظهور الجذور الجديدة)(١٦).

فإذا انتقلنا إلى «المغرب» نجد أن مفهوم الوقت لديهم هو محصلة اعتبارات متعددة سواء أكان ذلك فى قرية صغيرة أم داخل المجتمعات الحضرية. فبالملاحظة والمعايشة نستطيع أن نكتشف عناصر مختلفة ناتجة عن تشابك ثقافات متعددة، فالتجارب الشخصية والمفاهيم والمعتقدات الدينية والمعرفة العلمية تتداخل جميعها بشكل طبيعى، فالتجريبية empiricism التى تبدو لأول وهلة أنها تتعلق بالأمور الزراعية فقط تتداخل بشكل أساسى ووثيق مع وجهة النظر الدينية لتحوّل الوعى بالوقت إلى «نظام». وبهذا يصبح الوعى بالوقت عند ابناء هذا المجتمع، فى الحالات العادية، نابع من عدة مصادر: من العاطفى إلى العقلانى ومن التجربة الزراعية القديمة إلى التكنولوجيا الحديثة(١٧).

* * *

مما سبق يتضح لنا ان الزمن، إذا كان فى معناه المجرّد هو ذات الشيء فى كل المجتمعات، فإن اختلاف الثقافة فيما بين هذه المجتمعات هى التى تسبب تعددية مفهوم الوقت من مجتمع لآخر، وهو أمر يودى إلى أن تحددّ شخصية كل مجتمع على أساس من الوقت الذى يتواءم معه. وفى هذا الصدد فإن الوقت المذكور يعاش بشكل عام، ولكن يبقى أن نقول إن كل فئة اجتماعية تتوحد مع وقت موائم لثقافتها الفرعية sub-culture. وفى هذا الصدد يذكر هالبواكسHalbwachs فى كتابه عن «الذاكرة الجمعية» ان : هناك عدداً من التقويمات calendriers (أو طرق حساب الزمن) يساوى عدد ماهناك من المجتمعات، طالما ان تقسيمات الوقت تعبّر عن نفسها أحياناً من خلال مفردات دينية... وأحياناً أخرى من خلال مفردات متعلقة بقضايا العمل(١٨).

ومن هذا نخلص إلى أن فكرتى الزمان والتاريخ ليستا أصيلتين فى فطرة الإنسان، وهذا مايذكره جان بياجيه Jean Piaget عالم النفس المعروف، فالأطفال الرضع - فى نظره - يعيشون فى الحاضر فقط وان الوعى بالتزامن والتعاقب هو استجابات يتعلمها الفرد فى طفولته.كما أن الأفكار عن الزمن ليست موحدة - كما سبقت الإشارة - فلكل من الحضارات المختلفة ومن ثمّ اللغات المختلفة طريقتها المتمايزة تماماً فى تصوير الزمان، ومثال على ذلك لغة هنود أمريكا من قبائل الهوبى Hopi التى تفتقر إلى الصيغ الزمنية للدلالة على الماضى والحاضر والمستقبل، ولهذا يعيشون فى حاضر لغوى دائم والزمان بالنسبة لهم، على سبيل المثال، هو «مايحدث عندما ينضج محصول الذرة أو عندما تكبر الماشية»(١٩).

هذا، بل إن غالبية المجتمعات لم تكن لديها أى فكرة ولو غامضة لاستخدام نوع الزمان المقسّم إلى «ساعات» بالصورة التى نأخذه نحن مأخذ التسليم فى العصر الحديث، فلم تكن أغلب المجتمعات مبالية بالحصر الدقيق والمضبوط للزمان، ونادراً ماكان الناس فى المجتمعات الريفية يتذكرون أعمارهم بدقة حسب عدد السنين. ولم يصبح تسجيل السن بالأرقام أمراً مهماً إلاّ مع بداية عالمنا البيروقراطى ونظام القيد العام للمواليد والوفيات. وكذلك كانت المجتمعات التقليدية تؤرخ أحداثها المهمة فى أغلب الأحيان بوضعها مقادير عشوائية تقريبية من الزمان فى الماضى. وميّزت كثيراً من المجتمعات تاريخها بالسنة التى اعتلى فيها حكامها سدّة الحُكم، واعتاد الرومان حساب السنين ابتداءً من تاريخ تأسيس مدينتهم. ولم يقسّم الناس سنوات حياتهم حسب سنوات العمر التى عاشوها بل حسب المراحل البيولوجية لحياتهم ومكانتهم الاجتماعية: كأن يقال «وقتما كنت طفلاً أو شاباً»، أو «وقتما كنت فى سن الزواج أو رئيسا»..... وكان سكان جزر التروبرياند يؤرخون الأحداث بقولهم أنها وقعت «اثناء طفولة س» أو «فى السنة التى تزوج فيها ص»(٢٠).

وفى نهاية حديثى عن مفهوم الوقت أودّ أن أشير هنا إلى دراسة فى تفصيلات هذا المفهوم قام بها سوروكين P.Sorokin وميرتون R.Merton تحت عنوان: «الوقت الاجتماعى: تحليل منهجى ووظيفى»(٢١) ميزا فيها بين مفاهيم مختلفة: الوقت من الناحية الفلكية والفلسفية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.... وفى هذا المجال يذكر العالمان أن مرور الوقت من الناحية الفلكية يختلف عنه من الناحية النفسية: فإن الوقت المملوء بأحداث هامة وكبيرة وسعيدة يمرّ سريعاً دون أن نشعر بالمدة الزمنية التى احتلتها الأحداث (رغم طولها) بينما نجد أن الوقت يمرّ طويلاً وبطيئاً حين يخلو من التجارب والأحداث السعيدة (رغم قصر المدة التى يحتلها)(٢٢). وفى حقل الاقتصاد فقد اتضح أيضاً أن الوقت الفلكى (أو الذى يعتمد على الساعة)clock-time لايمكن تطبيقه دائما. ففى التحليل الشهير الذى قدّمه مارشال Marshall عن التوزان الاقتصادى economic equilibrium بالاعتماد على الفترات «الطويلة» والفترات «القصيرة» التى يمتد عبرها نشاط السوق، نجد أن التصور الاقتصادى للوقت ينعدم تطابقه مع الزمن الفلكى(٢٣).

وهكذا نجد أن الوقت الاجتماعى يعبر عن التغير أو الحركة فى ظواهر اجتماعية معينة فى ضوء ظواهر اجتماعية أخرى تؤخذ على أنها نقطة مرجعية ثابتة متفق عليها. ففى سياق أنشطتنا اليومية عادة مانعتمد على هذه النقط المرجعية المتفق عليها. وهنا يورد المؤلفان أمثلة على ذلك من بينها: «بعد الحرب العالمية بقليل». أو «سأقابلك بعد الحفل الموسيقى» أو «عندما تقلّد

الرئيس هوفر السلطة»(٢٤). ونستطيع نحن أن نقابل هذه الأمثلة بأمثلة مناسبة من حياة مجتمعنا ومافيها من أحداث وممارسات.

هذا، وفى مجال قياس الوقت فإننا نجد المجتمعات البدائية تعتمد على وسائل تنبع من واقعهم المعيشى كمؤشرات زمنية، والذى لاعلاقة له البته بنظام الوقت المعروف عندنا. وهنا يورد المؤلف أمثلة من مدغشقر حيث يذكر الناس فى قياسهم للوقت. مقدار مايستغرقه طبخ الأرز 'rice - cooking" وهى تعنى نصف ساعة، أو «شوى جرادة» وتعنى لحظة، أو «مات الرجل فى أقل مايستغرقه شوى كوز من الذرة» والمقصود منها فى أقل من ربع ساعة. وهكذا نجد أن التعبيرات الزمنية سواء من حيث الأمد أو الامتداد (الزمن) duration أو الدلالة (الزمنية) indication، مرتبطة بالأنشطة الاجتماعية أو الانجازات الجماعية(٢٥).

وفى نهاية الحديث عن هذه النقطة أودّ أن أضيف أنه إذا كان المفهوم الفلكى للوقت حتمياً ومحدداً فإن المفهوم الثقافى للوقت لدى المجتمعات المختلفة هو خلاصة التداخل بين المفاهيم السابقة المتعددة بحيث يصبح الوقت الاجتماعى هو محصلة لكل مقومات الجماعة.

* * *

بعد هذا العرض السريع لمفهوم الوقت يبرز السؤال المطروح. إذا كان هناك وقت فلكى نعرفه من خلال تغيّر الفصول وتغيّر الليل والنهار وتدرج سطوع الشمس خلال رحلتها اليومية وظهور القمر وغيابه - وهو نوع من التوقيت ترتبط به حياة بعض المجتمعات ولاتزال بعض آثاره ظاهرة فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، حتى بعد أن تغيّرت أوضاع هذه المجتمعات، كما يتداخل معه التوقيت الدينى بمافيه من طقوس وشعائر، وإذا كان هناك فرق كبير بين هذا التوقيت والوقت الانتاجى الذى يرتبط فيه الوقت بساعات العمل ومقدار الانجاز فى مجال الانتاج. ثم إذا كان الوقت الاجتماعى يجمع بدرجات متفاوتة هذين النوعين من التوقيت - وذلك من حيث ممارسة أنشطتنا اليومية وتوزيعها على احتياجاتنا المتعددة من نوم وأكل وعمل وترفيه وطقوس دينية وغير ذلك - فكيف نتعامل مع هذا الوقت كمفهوم اجتماعى وكيف نخصصه، وهل نختلف فيما بيننا فى نوعية ومستويات تخصيصه؟ وهل نستفيد منه الفائدة المرجوة أم أن هناك فاقداً كبيراً فيه؟.

وتزداد أهمية هذا التساؤل الأخير،بحيث يتحول إلى أمر جوهرى فى حياتنا، فى ضوء ثلاثة عوامل أساسية: وأول هذه العوامل يتصل بنوع الانتاج فى المرحلة الزمنية التى نمّر بها الآن ومدى تأثير ذلك على تقسيم الوقت فى مجتمعنا. وفى هذا الصدد فإننا قد دخلنا عصر «المجتمع الصناعى» بشكل تدريجى منذ فترة غير قليلة، كما نستطيع أن نقول إننا نقترب بشكل حثيث

من عصر «مجتمع الصناعة الكثيفة» (بغضّ النظر عن نوعية الصناعات: ثقيلة أم خفيفة، ضرورية أم كمالية طالما أنها منتشرة). ومن المعروف أن التوقيت أو طريقة قياس وتوزيع الزمن فى مثل هذا المجتمع بشكل مفيد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بوفرة الانتاج. والعامل الثانى فى هذا الصدد يتصل بعلاقة مجتمعنا بالمجتمعات الأخرى فى الفترة التى نعيشها الان والتى يكاد العالم يتحول فيها إلى قرية صغيرة بسبب التطور الصاروخى فى وسائل المواصلات والاتصال بين المجتمعات المختلفة، ومن ثم يصبح للمنافسة فى الانجاز تأثير سريع ومباشر وتصبح الاستفادة فى مجال هذه المنافسة من نصيب المجتمع الأكثر إنتاجاً. أما العامل الثالث الذى يتصل بالتساؤل المطروح فهو يتصل بالمثاليات التى تشكل جزءاً- مهما كان حجمه أو درجة التصاقنا به - من تصوراتنا الاجتماعية. وفى هذا المجال نجد بعضاً فى أمثالنا يتحدث عن قيمة الوقت مثل «الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك» أو «لاتؤجل عمل اليوم إلى الغد». كذلك نجد أن ثقافة إحدى العقيديتين السائدتين فى مجتمعنا (الإسلام والمسيحية) وهى الثقافة الإسلامية تحدّد موقفها من تقسيم الوقت وتوزيعه، على نحو مانجده مثلا في آية «والعصر إن الإنسان لفى خسر، إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات....»[٢٦] وفيها تمجيد للزمن من حيث القسم به وتوجيه له إلى العمل الصالح (بغضّ النظر عن الصفة الدنيوية أو الدينية للعمل). وكما نجده فى آية أخرى هى «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله....»[٢٧] وفيها تقسيم واضح للزمن. وهو أمر نجده كذلك فى حديثين للرسول (ﷺ) أحدهم هو «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً». أما الآخر فهو «إن الله يحبّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»، بما يشير إليه من تخصيص الوقت الكافى - فى مجال توزيع الوقت - لاتقان العمل الذى يقوم به الفرد.

ثانيا التخصيص

كان هذا هو الحديث عن المفهوم ،وأنتقل الان إلى الجانب الميدانى من الدراسة، ويدور الجانب الذى اخترته لها حول قياس الوقت على أساس من متّصل زمنى time continuum وهو مايطلق عليه اسم «تخصيص الوقت» time-budget approach، بما فى ذلك من اختلافات عديدة فى التناول. وقد ظهرت أول دراسة فى هذا المجال فى بدايات العقد الثانى من القرن الحالى، وكانت أول دراسة هى التى قام بها بيڤانز G.E.Bevans حول «طريقة استخدام وقت الفراغ لدى العمال» فى كولومبيا بالولايات المتحدة، وكانت هذه الدراسة، حسبما يذكر هو، الأولى من نوعها[٢٨].

كذلك قام ج.أ.لندبرج G.A.Lundberg بعد ذلك بدراسة حول طريقة «قضية أوقات الفراغ فى وستشستر» Westchester، وهى ضاحية من ضواحى مدينة نيويورك حيث استخدم فيها جداول تخصيص الوقت time - budget schedules ، وكان ذلك فى اوائل الثلاثينيات من هذا القرن[٢٩].

دراسة هامة أخرى، فى هذا المجال، هى الدراسة التى قام بها ثورندايك E. L. Thorndike تحت عنوان «كيف نمضى أوقاتنا، ولأى غرض» How we spend our time and what we spend it for. وذلك فى محاولة لاكتشاف الاحتياجات النفسية التى يغطيها سلوكنا اليومى [٣٠]. ومن بين هذه الدراسات المبكرة كذلك، دراسة قام بها رايلى J. W. Riley حول أنشطة تمضية أوقات الفراغ لدى سكان برونزويك Brunswick فى مقاطعة ماين Maine وهى دراسة اتخذ ماجاء فى الجرائد المحلية أساساً لها [٣١].

ومن بين الظروف التى وجهتنى للقيام بهذه المحاولة المتواضعة فى مجال قياس الوقت أن هذا النوع من الدراسات نادر فى مجتمعنا حتى الآن، وإن كان المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية قد قام بمحاولة فى هذا المجال فى عام ١٩٩٢ لدراسة «تخصيص الوقت فى مصر»، ولكن المحاولة لم تتجاوز مرحلة الاعداد. كذلك وجدت من مبررات الإقدام على هذه المحاولة، تلك الحقيقة التى تكاد تكون معروفة لدى الجميع، وهى أن مفهوم الوقت فى مجتمعنا، فى عمومه، مفهوم مطاط وغير محدد، وهو أمر نجده فى كافة جوانب المجتمع وعلى كافة المستويات، وإن كان ذلك بنسب متفاوتة. وينعكس ذلك فى أحد مظاهره، فى استخدامنا لعبارات غير محددة فى الإشارة للوقت مثل: مسافة ماتشرب القهوة، بعد يومين ثلاثة، بعد الظهر، المغربية، وغير ذلك من التعبيرات المشابهة. وفيما عدا استثناءات قليلة، فإن هذه العبارات ليست قاصرة على طبقة دون الأخرى، أو على منطقة أو شريحة من المجتمع دون غيرها، وإنما يشترك فيها الجميع: أهل الريف وأهل الحضر، المثقفون وغير المثقفين، كما تشيع فى كافة المجالات، بما فى ذلك الدوائر الرسمية حيث تقابلنا فى أغلب الأحيان العبارة المعهودة «فوت علينا بكره» أو ما يعادلها. وفى إطار هذه الملاحظة، أشير إلى مايحدث فى كثير من الأحيان داخل شريحة المجتمع التى أنتمى إليها - وهى الجامعة. فهنا، ومن واقع تجربتى الخاصة داخل هذه الشريحة (وهى تجربة يشاركنى فيها آخرون بحكم الظروف الواحدة للعمل)، يأتيك خطاب من جامعتك يتعلق بانعقاد مؤتمر فى جامعة أخرى. هذا الخطاب يحوّل من مكتب لآخر فى الجامعة الداعية ثم فى جامعتك حتى يصل إلى القسم المختص، فتجد أنه لم يتبقّ على انعقاد المؤتمر سوى أيام قليلة لاتكفى للاستعداد المطلوب للمشاركة الايجابية المطلوبة فى هذا النشاط العلمى.

أما فيما يخصّ الاستخدام فقد لاحظت بشكل عام ان استخدام الوقت فى مجتمعنا يبرز فيه تفاوت يكون كبيراً فى أحيان كثيرة، من شخص لآخر، وإن كانت السمة الغالبة عليه هى أننا نسىء استخدام الوقت إلى حدّ كبير بحيث لاننتفع به بالقدر المطلوب، وهو سوء استخدام قد يتصّل بالوقت فى عمومه من حيث اهدار نسبة قليلة أو كثيرة منه، وقد يتصل بتحديد توقيتات معينة داخل إطار زمنى واحد، وذلك من حيث عدم الالتزام بالتوقيت المطلوب أو المناسب أو الذى

تفرضه طبيعة الظرف أوالعمل: الإطالة غير المجدية فى مناقشة موضوع معين داخل اجتماع رسمى، الإسترسال والتفرّغ فى التعليق على بحث فى مؤتمر على حساب فرص الآخرين فى التعليق وبالتالى عدم الاستفادة من آرائهم، التأخر الزائد فى الحضور فى ميعاد متفق عليه فى مناسبة اجتماعية، الإطالة غير المقبولة فى كثير من الأحيان فى استخدام أدوات الاتصال أو الترفيه مثل المحادثات التليفونية أو مشاهدة التلفزيون أوالڤيديو وغير ذلك.

وللتحقق من هذه الظاهرة أجريت دراسة ميدانية فى محاولة لقياس هذا التفاوت وللتعرف على نوعية تقسيم الوقت حتى نستطيع ان نحددّ مواطن الإساءة فى استخدامه. وكان المنهج الذى اتبعته هو «منهج كتابه اليوميات» Diary method، وهو منهج استخدمه الباحثون الغربيون فى مجالات مختلفة: نفسية واجتماعية وتاريخية، ثم قاموا بتكييفه بحيث أمكن استخدامه كذلك فى مجال دراسة تخصيص الوقت time budget schedule(٣٢). وقد أجريت الدراسة على خمسة عشر فرداً تتفاوت أعمارهم مابين ٢٣ و ٦٨ سنة، وحاولت فى هذا المجال أن أغطى معظم الشرائح الاجماعية: اثنين من المعيدين، طالب دراسات عليا، اثنين من الحرفيين، تاجرا، اثنين من الموظفين، اثنين من المدّرسين،ربة بيت عاملة، ربة بيت متفرغة، ربة بيت فى أجازة بدون مرتب من العمل، أستاذاً جامعياً، موظفاً برتبة وكيل وزارة بالمعاش، صاحبة محل تجارى.

وفى هذا المجال طلبت من الحالات تدوين مايفعله كل منهم أو منهن من أنشطة يومية كل ساعة بدءاً من ساعة الاستيقاظ وحتى ساعة النوم وذلك لمدة أسبوع. ثم كررّت الدراسة على نفس الحالات ولمدة أسبوع آخر وذلك خلال شهر رمضان. وبعد الانتهاء من الدراسة صنفت الأنشطة والممارسات اليومية تحت سبعة عناوين رئيسية وهى:

١- أنشطة وممارسات تشمل الاحتياجات الفيزيقية البيولوجية المنتظمة، (مثل:النوم والأكل والحمام).

٢- أنشطة تتعلق بالعمل والممارسات المتصلة به (مثل: الوظيفة ، العمل الحر، واجبات المرأة المنزلية، التسوّق).

٣- أنشطة اجتماعية (مثل: الزيارات واللقاءات العائلية، اللعب مع الأطفال، الاتصالات التليفونية).

٤- أنشطة دينية، (مثل: الصلاة وبعض الطقوس التى تتصل بها، الذهاب إلى أماكن العبادة).

٥- أنشطة ثقافية (مثل: حضور محاضرات، ندوات، قراءة، دراسة حرة).

٦- أنشطة فنية (مثل: حضور معارض فنية أو مسرحيات أو حفلات موسيقية ، زيارة متاحف، الاشتراك فى تمثيل أو غناء).

٧- متفرقات من الأنشطة المحببة إلى النفس (مثل: ممارسة هوايات، لعب الكوتشينة أو الطاولة، التريض، الاسترخاء، شرب الشاى، مشاهدة تلفزيون....).

وأشير فى صدد هذا التقسيم إلى أن مجموعات الأنشطة الثلاثة الأولى منه اضطرارية فى طبيعتها بشكل أو بآخر من حيث أن الفرد مجبر عليها إما بسبب طبيعته الجسمانية، أو بسبب الحصول على مايغطى احتياجاته المعيشية، أو بسبب طبيعته ككائن اجتماعى. أما الأنشطة الأربعة الأخيرة فهى تتصل بتحقيق ذاته سواء من حيث علاقته بخالقه أوعلاقته بنفسه فى أكثر من جانب.

* * *

وفيما يخص الشق الأول من الممارسات والأنشطة المشار إليها، وهو الشق الاضطرارى، أبدأ بالمجموعة الأولى، وهى التى تتعلق بالحاجات الفيزيقية البيولوجية المنتظمة، وقد وجدت، من خلال الدراسة الميدانية الحالية، أنها تستغرق فى المتوسط تسع ساعات وثلاثة أرباع الساعة يومياً بين المتوسط الثابت والتقديرى لساعات النوم والأكل والحمام. ويخصّ النوم من ذلك ٧ ١/٢ ساعة بشكل ثابت على أساس أنه يتراوح مابين خمس ساعات وعشر ساعات فى الأيام العادية، بينما أجمعت معظم الحالات على القيام فى وقت متأخر يوم العطلة الأسبوعية (الجمعة بالنسبة لمعظم أفراد الدراسة، والاثنين بالنسبة للحلاق والأحد بالنسبة لصاحبة المحلّ التجارى)، ولكن اثنين من كبار السن كان موعد استيقاظهم ثابتاً. فإذا قدّرنا الساعات الزائدة فى النوم فى يوم العطلة بساعتين فى المتوسط حصلنا على ربع ساعة تقريباً كمتوسط تقديرى لكل يوم من أيام الأسبوع. فإذا انتقلنا إلى قياس الوقت المخصص للأكل يومياً وجدنا أنه يمثل ١ ١/٤ ساعة يومياً كمتوسط ثابت حيث أنه يتراوح بين الساعة والساعة ونصف عند جميع الحالات.

أما فيما يخصّ الحمام فلم يمكن التوصل إلى متوسط ثابت أو متوسط تقديرى يشمل كل الحالات، وإنما كانت النتيجة الأخيرة هى متوسط يتداخل فيه المتوسط الثابت مع التقديرى - وعلى هذا الأساس المتداخل فقد وجدت أنه يستغرق ٣/٤ ساعة يومياً. ويرجع عدم التوصل إلى متوسط محددٌ (ثابت أو تقديرى) إلى سبب هو: أن عدداً من الحالات لم يذكر أفرادها شيئا عن هذا الموضوع (ربّما تحرجاً) بينما كان المتوسط الثابت هو ساعة يومياً عند خمس من الحالات (ذكوراً وإناثاً)، وهو ما أتصورٌ منطقياً أنه يشمل كل ماتعنيه الكلمة. وفى بقية الحالات كانت الإجابات جزئية غير شاملة. فبعضها يشير بوضوح إلى «الاستحمام» فحسب: فقد ذكرت ربة البيت أنه يستغرق ساعة مرتين أسبوعياً، وكان ساعة واحدة مرة أسبوعياً عند الموظفة مهندسة الديكور، وثلاثة أرباع الساعة مرة واحدة عند إحدى الموظفات. أما فى حالة وكيل الوزارة

بالمعاش فقد كان الوقت الثابت هو ربع ساعة يومياً، وربما كان السبب فى هذه الإجابات الجزئى هو نوع من الحرج.

وفيما يتعلق بالمجموعة الثانية من الأنشطة، وهى تمثل الأنشطة الخاصة بالعمل والممارسا المتصلة به، فإن الوقت الذى ينفق فى هذا المجال يختلف توزيعه بشكل واضح بين من يمارسو العمل الحرّ وبين من يعملون كموظفين حكوميين. ففيما يخص حالات العمل الحّر من بين الحالا التى أجريت الدراسة عليها، وجدت أن الأفراد يحرصون على ساعات العمل بشكل ملحوظ ، إ قد يصل وقت العمل عنده إلى أكثر من عشر ساعات للفرد يومياً. أما فى حالة الموظفين فإنهم يعملون فى المتوسط نصف عدد ساعات العمل الوظيفى (وهى ٦ ساعات بين ٨ صباحاً و٢ مساءً فى أيام العمل الأسبوعى)، بل قد يصل وقت العمل المؤدى إلى أقل من النصف أحياناً، بينما يمضون بقية الوقت فى الحديث وتناول المشروبات. فإحدى الموظفات، على سبيل المثال، كان مجموع ساعات عملها هو ساعتين وربع فى إحدى المرات. فقد ذكرت أنها ذهبت إلى العمل (فى أحد الأيام وهو يوم خميس) ووصلت فى الساعة ٨,٢٥ صباحاً، ثم جلست «لتدون المذكرات ثم تحدثت مع زملائها عن زيجات هذه الأيام حتى ٩,٣٠، ثمّ شربوا الشاى واكملوا الحديث حتى الساعة ١٠,١٥صباحاً. ثم قامت بأداء بعض الأعمال الخاصة بوظيفتها حتى الساعة ١٢,٣٠ ظهراً وبعد ذلك «جلست بدون عمل من الساعة ١٢,٣٠ وحتى ١,٣٠ تستمع إلى ذكريات إحدى صديقاتها من الموظفات» - ثم من الساعة ١,٣٠ وحتى الثانية بعد الظهر (وهو موعد الانصراف)، قالت «كنت أقرأ بعض الشعر وأتحدث مع زميل لى عن المدير الجديد»....

كذلك نجد موظفة أخرى (مهندسة ديكور) تتحدث عن العمل بشكل يتراوح بين الجدية التامة فى بعض الأحيان وبين «التسيّب» فى أحيان أخرى. تذكر مرة ان احدى زميلاتها تأخرت فى الحضور ساعة كاملة عن موعدها، وحين تناقشتا فى الأمر أفهمتها الزميلة أنها يجب أن لاتأخذ الأمور «باهتمام شديد وعلى أعصابها» و «الدنيا مش مستاهله وإيه يعنى لما تتأخر»!! ومرة أخرى نجدها تعمل ثلاث ساعات من الساعات الستة المقرّرة فى اليوم، إذ تقول أنها وصلت إلى مكان عملها وأخذت «ترغى مع الزملاء وتشرب الشاى لمدة ساعة» ثم «اعتذرت قبل موعد الانصراف بساعتين لتقضى بعض أمور خاصة بها». وفى مرة ثالثة «اتفقت مع زميلاتها على أن تحضر كل واحدة بعض أصناف الأكل ليفطروا فى المكتب فى اليوم التالى».

وتظهر هذه المفارقة بين وقت العمل فى العمل الحرّ والوظيفة الحكومية فى حالة تجمع بين هذين النوعين من العمل وهى حالة مدرسّ رياضيات، ولكنه يقوم إلى جانب عمله فى المدرسة بالإشراف على عمل حرّ خاص بأحد أقاربه. ففى أحد الأيام يذكر فى يومياته أنه ذهب إلى حجرة المدرسين «وشرب الشاى وتناقش معهم فى أمور مختلفة»، ثم انتظر الموجه «لمقابلته» واستأذن

بعد ذلك لمصاحبة عمه «للذهاب إلى الطبيب حيث كان يشكو من بعض الآلام» ..... بينما يذكر فى يوم آخر أنه، بعد الانتهاء من العمل المدرسى، ذهب إلى مكان عمله الآخر (مع عمّه وهو فى مجال المقاولات) وجلس مع العمال وقام بالعمل معهم ولم يشعر بالوقت، لأن هذا العمل يسرق الوقت منه، حسب تعبيره، ولم ينتبه «إلاّ وأذان العصر قد ارتفع ...».

وهناك نوع ثالث من تخصيص وقت العمل نجده فى حالات ربّات البيوت بأنواعهن، وهى حالات بينها تفاوتاً كذلك - فالأولى وهى متفرغة لمنزلها، يستغرق عملها المنزلى سبع ساعات يومياً، فيما عدا يوم الجمعة الذى يساعدها فيه أولادها الثلاثة (وهم فى المدارس الابتدائية والاعدادية) فإن العمل يستغرق منها أربع ساعات فحسب. أما ربة البيت الموظفة (والتى هى فى أجازة من العمل) فإن العمل المنزلى يستغرق منها ثلاث ساعات ونصف يومياً، بينما نجد الحالة الثالثة، وهى ربة البيت العاملة (مدرّسة فى مدرسة إعدادية) - فإنها تذكر يومياً أنها ذهبت إلى العمل وأمضت اليوم الدراسى فى المدرسة من الساعة ١٢,٢٠ وحتى ٤,٣٠ بعد الظهر دون أن تذكر تفصيلات اليوم الدراسى، ثم نجد أن متوسط الساعات التى تمضيها فى العمل المنزلى هو خمس ساعات يومياً فى متوسطه.

هذا، وفيما يخصّ من يعملون فى الجامعة (المعيدان والأستاذ الجامعى) فإن وقتهم مابين الدراسة والتدريب الميدانى (بالنسبة للمعيدين) والتدريس وتحضير الأبحاث وقراءة الرسائل العلمية استعداداً لمناقشتها (بالنسبة للأستاذ) قد يصل إلى عشر ساعات فى اليوم الواحد. أما فيما يخص وكيل الوزارة بالمعاش فإن وضعه يختلف عن بقية الحالات من حيث أنه غير مرتبط بعمل حرّ أو حكومى لذلك نجد أنه يمضى يومياً ساعتين فى متابعة مصالحه الخاصة: البنك، المحامى، المعاشات وغيرها - ويقوم باصلاحات مختلفة فى المنزل لمدة ساعتين مرة واحدة أسبوعياً.

هذا، وهناك وقت يمكن أن نضمه إذا أردنا، إلى ساعات العمل وهو الوقت المخصّص للتسوّق. وفى هذا المجال أودّ أن أذكر، إن التسوق لم يرد ذكره عند أربع من الحالات، وهى حالات: الأستاذ الجامعى وأحد المعيدين والحلاق والتاجر. أما بالنسبة للحالات الأخرى فإن التسوق ورد ذكره عندهم جميعاً وكان متوسط مايستغرقه من وقت يتراوح مابين: ساعة واحدة أسبوعياً عند طالب ماچستير ، ويصل إلى أقصاه عند إحدى ربات البيوت، وعند الموظف بالمعاش إلى ست ساعات فى الأسبوع بمتوسط قدره ساعة يومياً تقريباً.

أما فيما يتعلق بالمجموعة الثالثة من الأنشطة وهى الأنشطة الاجتماعية، فقد وجدت ان الوقت الذى يستغرقه يختلف، كذلك، اختلافاً بيناً من حالة لأخرى. فبالنسبة لربة البيت المتفرغة

فإنها تذكر أنها لاتزور ولاتزار إطلاقاً ونشاطها الاجتماعى الوحيد هو الجلوس مع أطفالها ومتابعة أمورهم لمدة ست ساعات يومياً (إلى جانب قيامها بالأعمال المنزلية لمدة سبع ساعات يومياً حسبما ذكرت فى مناسبة سابقة). وعلى عكس ذلك نجد أن ربة بيت ومدّرسة فى آن واحد، تذكر أنها تجلس للحديث مع زوجها ساعة يومياً وتقوم باجتماعيات وزيارات عائلية مع أسرة الزوج والأصدقاء لمدة ثلاث ساعات يومياً. وهناك حالة ربة البيت (فى أجازة من عملها) وهى تقضى ساعتين يومياً مع الزوج فى أحاديث ونقاش حول أمور الحياة وتلعب مع طفلتها ساعة يومياً وتزور الأصدقاء حوالى أربع ساعات مرة فى الأسبوع. أما الشباب من المعيدين والموظفين فإن لقاءاتهم تصل فى متوسطها إلى حوالى ساعة يومياً، بينما تصل أوقات اللقاءات إلى ثلاث ساعت يومياً فى حالة الحلاق، نصف الوقت مع الأسرة والنصف الآخر مع الأصدقاء الذين يحضرون لزيارته فى مكان عمله. وفى حالة الأستاذ الجامعى نجد أن لقاءاته لاتزيد على ساعتين مرة فى الأسبوع وأحاديث مع زوجته حول مائدة الطعام فى أغلب الأحيان، إلى جانب لقاءات خاطفة مع زملاء العمل من حين لآخر بشكل غير منتظم. أما التاجر فإن وقته موزع مابين الجلوس مع أطفاله ساعة يومياً وحوالى ساعة مثلها مع أصدقائه يومياً كذلك، ثم زيارة أسرته لمدة أربع ساعات مرة أسبوعياً، إلى جانب بعض الالتزامات من حين لآخر (المشاركة فى زفاف أو عيد ميلاد أو واجب عزاء) ، وإن كنت لا أميل إلى إضافة هذا النوع من الالتزامات إلى حالته فهى نشاط عام يشترك فيه الجميع بدون استثناء تقريباً، فضلاً عن أنه نشاط لايتكرر كثيراً أوبشكل منتظم.

وأودّ أن أشير هنا أنه فى حالة هذا التاجر تتيسرّ الزيارات والاجتماعيات لأنه يقوم بتوريد بعض المواد الخاصة بعمله ومتابعة أشغاله من السابعة صباحاً وحتى الثانية بعد الظهر وبذلك يستطيع التفرغ بعد الظهر لحياته الخاصة. أما بالنسبة للموظف بالمعاش فإنه يمضى أوقات فراغه مابين الجلوس مع أفراد أسرته (ساعتين يومياً) ومقابلة أصدقائه فى النادى ثلاث مرات فى الأسبوع لمدة ساعتين كل مرة، واجراء بعض التليفونات لمدةربع ساعة يومياً، وكتابة خطابات لمدة ساعة مرة أسبوعياً. هذا ، وأودّ أن أذكر هنا أنه بالنسبة للاتصالات التليفونية فإن عدداً كبيراً من الحالات لم يذكر شيئا بشأن الاتصالات التليفونية بالرغم من أننا نعرف أن المكالمات التليفونية فى مجتمعنا كثيرة جداً ومطولة، بدليل أن أحد الحالات، أشار إلى أنه تحدث مع صديقه فى التليفون لمدة ساعة، ومرة أخرى ذكر أنه أجرى مكالمة لمدة نصف ساعة وهكذا.... ولكن يبدو أن الحالات المدروسة لم يشعر أصحابها أنهم مضطرون لكتابة شىء عن هذه الاتصالات حين كانوا

يكتبون هذه اليوميات - وربما يعود ذلك إلى أنهم لم يشعروا أنها تشكل نشاطاً واضحاً أو قائماً بذاته.

* * *

وبعد الحديث عن المجموعات الثلاث السابقة من الأنشطة، وهى ما أسميته بالأنشطة الاضطرارية، أنتقل الآن إلى المجموعات الأربع الأخيرة وهى التى يمارسها الفرد لتحقيق ذاته سواء من حيث علاقته بخالقه أو من حيث علاقته بذاته فى الجوانب المختلفة. وأول مجموعة فى هذا الصدد (وهى المجموعة الرابعة فى التقسيم) تتعلق بالأنشطة الدينية اليومية (على مدار العام). وهنا نجد أن جميع الحالات قد ذكر أصحابها قيامهم بالصلاة يومياً وبانتظام فيما عدا حالتين: الموظفة أمينة المكتبة وصاحبة المحل التجارى. وفى بقية الحالات فإن هذه الأنشطة الدينية، إذا كانت تشكل تفاوتاً من حالة لأخرى مثل الأنشطة السابقة، إلاّ أن هذا التفاوت ليس حاداً فالوقت لذى تستغرقه الصلوات يتراوح مابين نصف ساعة وساعة فى المتوسط يومياً. أما بشأن قراءة القرآن الكريم فإنه يتراوح مابين نصف ساعة وساعة أسبوعياً إلى أن يصل عند موظف المعاش إلى ساعة يومياً، إلى جانب سماعه لإذاعة القرآن الكريم لمدة ساعتين يومياً - وهناك أربع من الحالات لم تذكر قراءة القرآن الكريم - وتركزّت القراءة غالباً فى يوم الجمعة عند الحالات التى تقرأه مرة فى الأسبوع. أما الذهاب إلى الجامع لأداء الصلوات فإنه لم يرد ذكره إلاّ حين ذُكرت صلاة الجمعة، اللهم إلا عند حالتين ذكرتا «الذهاب إلى الجامع خلال أيام الأسبوع العادية لمدة نصف ساعة».

أمّا فيما يخص المجموعة الخامسة من الأنشطة، وهى الأنشطة الثقافية فإنه تتراوح من «لايوجد» عند المدرسّة المتزوجة (حتى ولاقراءة الجرائد)، إلى قراءة جريدة حوالى «ربع ساعة» مرة أسبوعياً عند مدرّس الرياضيات، ثم إلى قراءة جريدة لمدة نصف ساعة ثلاث مرات فى الأسبوع، إلى قراءة يومية للجرائد لمدة نصف ساعة عند الحلاق. هذا، وتزيد المدة للقراءات المتنوعة: جرائد ومجلات ودراسات وأبحاث عند المعيدين والأستاذ الجامعىلتصل إلى خمس ساعات يومياً. غير أن هذا العدد من الساعات يشوبه شىء من عدم الوضوح، فربما كانت قراءة الدراسات والأبحاث تدخل ضمن وقت العمل عندهم، وهو النشاط الذى سبقت الإشارة إليه. أما التاجر الشاب فإنه يقرأ الجرائد والمجلات حوالى ساعتين أسبوعياً وقراءاته العامة تصل إلى ساعتين ثلاث مرات أسبوعياً وهو يقرأ الشعر ويتذوقه. هذا بينما نجد أن مهندسة الديكور تحضر دروساً فى اللغة الألمانية لمدة ثلاث ساعات أسبوعياً، وتقرأ الألمانية لمدة نصف ساعة مرتين أسبوعياً. وفيما يخص

موظف المعاش فإنه قارىء من الطراز الأول، فهو يقرأ الجرائد لمدة ساعتين يومياً إلى جانب قراءات أدبية وتاريخية حوالى ساعتين ثلاث مرات أسبوعياً، يجلس للكتابة حوالى ساعة مرتين أسبوعياً ، ويحضر ندوات حوالى ساعتين أسبوعياً.

ومن الملفت للنظر فى هذا المجال، مجال الأنشطة الثقافية، وخاصة فيما يتعلق بقراءة الجرائد اليومية، أن معظم الحالات غير منتظمة فى القراءة، فهناك من يقرأها مرة فى الأسبوع وهناك من يقرأها مرتين أو ثلاث فى الأسبوع، فيما عدا أربع حالات: الأستاذ الجامعى والموظف بالمعاش وابنته المعيدة وربة البيت (فى أجازة من العمل) هم الذين يداومون على قراءة الجرائد بانتظام.

أما بالنسبة للمجموعة السادسة من الأنشطة ، وهى الأنشطة الفنية وتشمل حضور المعارض الفنية والمسرحيات والحفلات الموسيقية وزيارة المتاحف، او الاشتراك فى التمثيل والغناء – فإن أمرها غير وارد بالنسبة لتسع من الحالات، ممثلة بذلك ثلاثة أخماس المجموعة تقريباً. أما الحالات الست الباقية، فإن أربعة من أصحابها يحضرون بعض العروض الفنية ويزورون المتاحف والأماكن الأثرية بحكم طبيعة عملهم. فبالنسبة للمعيدة (فى قسم المسرح). فإنها تقوم بتقديم بعض العروض بحكم طبيعة عملها، إلى جانب تدريب الطلاب على التمثيل وجوانب أخرى من المسرح. وأما ربة البيت (فى اجازة من عملها)، فإنها تعمل أيضاً فى هيئة المسرح، وحيث أن زوجها شاعر مسرحى كذلك، فهى تحضر عرضاً مسرحياً كل أسبوع. كذلك بالنسبة لمهندسة الديكور فهى تعمل فى تلفزيون الاسكندرية وهذا يفرض عليها حضور المعارض الفنية مما يستغرق من وقتها ثلاث ساعات أسبوعياً، إلى جانب تمضيتها ساعتين، كل أسبوع، فى الرسم. وأما المعيد فإنه يعمل بقسم الآثار فى إحدى الجامعات الاقليمية، فعمله يفرض عليه زيارة المتاحف والأماكن الأثرية، وكان تسجيله ليومياته، بالصدفة، فى أسبوع صادف فيه قيام القسم بزيارة للقاهرة حيث أمضى خلال الرحلة الكثير من الوقت فى زيارة: للقلعة ومتحف الفن الاسلامى والمتحف المصرى وزيارة الأهرامات كمشرف على طلبة القسم – هذا وإن كان العمل يفرض عليه هذه الزيارات، إلاّ أنه لن يكون بهذا الشكل المكثف لولا ان جاءت الرحلة كأمر عارض خلال تسجيل اليوميات. وتبقى هنا حالتان، إحداهما هى حالة التاجر، فهو – كما سبقت الإشارة – هاو للشعر لذلك فهو يحضر بعض المعارض إذا سنحت الفرصة، دون أن يشير بشكل محدّد لذلك. أما الحالة الأخرى فهى، الأستاذ الجامعى الذى يحضر الحفلات الموسيقية التى تقام فى قاعة المؤتمرات فى الاسكندرية وصادف أسبوع اليوميات حضور حفل سيمفونى فى هذه القاعة، ومعرض للصور فى قاعة فكر وفن، فى معهد جوته فى الاسندرية.

ويتبقى فى النهاية الحديث عن المجموعة السابعة من الأنشطة وهى متفرقات من الأنشطة

الترويحية المحببة إلى النفس كالهوايات المختلفة: لعب الكوتشينة أو الطاولة أو التريكو أو التريّض أو الاسترخاء أو جلسة لشرب الشاى ومشاهدة التلفزيون وغيرها. وأول مانلاحظه هنا (على عكس ماشاهدنا فيما يخص الأنشطة الثقافية) أنها أنشطة يمارسها الجميع بلا استثناء، كذلك فإنها رغم تفاوت الوقت الذى تشغله من حالة إلى أخرى، إلاّ أنها تشغل حيزاً محسوساً من الوقت فى أغلب الحالات. وهنا نجد أن الاسترخاء ومشاهدة التلفزيون وحلّ الكلمات المتقاطعة تأتى فى المرتبة الأولى من حيث شغلها لوقت فراغ الحالات موضع الدراسة، فيأتى التلفزيون فى المقام الأول حيث يشغل مابين ثلاث وأربع ساعات يومياً وقد يمتد إلى خمس ساعات يوم العطلة عند ربة البيت (فى اجازة من عملها) - ثم نجده يشغل ساعتين يومياً عند خمس حالات ويقل إلى ساعة يومياً عند ثلاث حالات أخرى، إلى أن يصل إلى ساعة أسبوعياً عند الأستاذ الجامعى. أما الأسترخاء فمتوسطه مابين ساعة وربع ساعة يومياً عند جميع الحالات، وأما حلّ الكلمات المتقاطعة فإنه يشغل نصف ساعة يومياً عند سبع من الحالات ولاتذكره الحالات الثماني المتبقية.

ويدخل ضمن هذه المجموعة من الأنشطة كذلك المشى والتمشية مع الأصدقاء، وهذا تمارسه ثمان من الحالات. ففيما يخص المشى نجد أنه يمثل رياضة يومية بالنسبة لحالتين: واحدة من الشباب والأخرى موظف المعاش. أما التمشية فتتراوح مابين مرة فى الأسبوع وثلاث مرات فى الأسبوع لدى الشباب من الذكور. ويأتى دور الوقوف فى البلكونة لمدة تتراوح مابين ربع ساعة ونصف ساعة يومياً عند سبع من الحالات (خمس من النساء واثنين من الذكور) ويمتد إلى ساعة يومياً عند الموظفة أمينة المكتبة (غير المتزوجة). أما بالنسبة لشرب الشاى وتناول الحلويات فيأتي ذكره عند عشر من الحالات بينما أغفلته الحالات الخمس الأخرى - وهو يتراوح مابين نصف الساعة والساعة يومياً عند الحالات التى ذكرته. وفيما يخص التدخين ولعب الطاولة فقد جاء ذكره فقط عند الحلاق الذى ذكر أنه يدخن ويشرب الشاى لمدة ساعة يومياً، ويجلس مع نفسه ويتأمل لمدة ساعة ويلعب الطاولة لمدة ساعتين يوم أجازته مع الأصدقاء- وأودّ أن أشير هنا إلى أن الحلاق غير متزوج وحاصل على ليسانس فى الاداب من قسم الآثار بأحد الجامعات الاقليمية. وفيما يخصّ التاجر (الفنان) وهو حاصل، أيضاً، على دبلوم من معهد عالٍ فنى، فإن هواياته تتراوح مابين: استماعه للموسيقى الهادئة نصف ساعة يومياً ومشاهدة الفيديو لمدة ساعتين ونصف مع الأسرة مرة أسبوعياً، واللعب بالكومبيوتر مع أولاده لمدة ساعتين ونصف أسبوعياً، وجلوسه مع الأصدقا ساعتين مرة أسبوعياً. أما بالنسبة للحياكه والتطريز وأعمال التريكو وغيرها فلم يأت ذكرها إطلاقاً عند أى من الحالات المدروسة من الفتيات والسيدات.

* * *

أما بالنسبة ليوميات أسبوع شهر رمضان، وهو ظرف استثنائى، حيث أنه يمثل شهراً واحداً

من أشهر السنة، إلاّ أن تخصيص الوقت فيه يمثل ظاهرة خاصة لدى معظم أفراد المجتمع، حيث أن نظام الحياة نفسه يتغيّر تماماً في هذا الشهر. وهنا نجد عدة متغيرات تبدو واضحة وخاصة فيما يتعلق بساعات النوم ومواعيدها، فنحن نجد أن عدد الساعات يقلّ كثيراً حيث تصل في بعض الأحيان إلى ثلاث أو أربع ساعات في الليلة الواحدة نتيجة لانتظار السحور وصلاة الفجر. ولكننا نجد أن معظم الحالات كانت تحاول تعويض النقص في وقت النوم إما في يوم الأجازة أو في فترة مابعد الظهر عند عدد من الحالات، وفي حالتين اثنتين فقط كانوا ينامون في مواعيدهم العادية ثم يستيقظون في الساعة الثانية والنصف صباحاً لتناول السحور ثم الصلاة. وهكذا نستطيع القول ان تغيير مواعيد النوم أدىّ إلى قلّتها في أغلب الأحوال، ولكن البعض كان يحاول الحصول على كفايته من النوم بتوزيع أوقات الراحة بشكل يتناسب مع ظروفه - وإن كان المتوسط اليومي لدى الجميع قد انخفض من سبع ساعات في الأيام العادية إلى ست ساعات في شهر رمضان.

ومن المتغيرات الواضحة في هذا الشهر أيضاً، زيادة المدة التي أمضاها أفراد العينة في مشاهدة برامج التلفزيون، حيث أجمعت معظم الحالات على ذلك، كما أجمعوا على مشاهدة نفس البرامج تقريباً. ونجد أن المتوسط قد زاد ساعة ونصف، تقريباً، في اليوم الواحد. أما الوقت المحددّ للأنشطة الدينية فقد زاد هو الآخر بشكل واضح، حيث أجمعت الحالات المدروسة على اداء الفروض في مواعيدها وانتظم جميع أفراد العينة في قراءة القرآن الكريم بمن فيهم الذين لم يذكروا شيئاً عن أنشطتهم الدينية في يومياتهم التي سجلت في الأيام العادية من السنة.كما داومت عشر حالات من العينة على أداء صلاة الفجر في موعدها، وداوم شباب العينة (ست حالات) على صلاة التراويح في المسجد إلى جانب الموظف بالمعاش، وداوموا على أداء صلاة الجمعة في المسجد أيضاً.

ومن الملفت للنظر أن شاباً (وهو طالب دراسات عليا ومعيد في إحدى الكليات) كان الوقت الذي ينفقه في الدراسة والتدريب وخلافه - خارج أيام رمضان يصل إلى تسع ساعات، انخفض إلى ساعتين في أيام رمضان. وذكر في هذا الصدد في ختام كتابته لليوميات، ان: شهر رمضان يمثل بالنسبة له فترة من التعبّد وصلة الرحم وفترة يقوم فيها باجتماعياته ويذكر أن «حياته في هذا الشهر تختلف تماماً عن بقية أشهر السنة»، وأن هذا الشهر، في نظره، ذو طبيعة خاصة.

حالة أخرى، وهي ربة البيت المتفرغة، تذكر على سبيل المثال، أنها كانت تقرأ القرآن لمدة ساعة واحدة في الأسبوع، في غير شهر رمضان، ولكنها كانت تقرأ القرآن في رمضان لمدة ساعة

ونصف فى اليوم الواحد. هذه الحالة سجّلت، أيضاً، أن الوقت الذى يستغرقه اعداد الطعام فى هذا الشهر كان أطول مما كان يستغرقه خارج أيام رمضان.

* * *

بعد هذا العرض للدراسة الميدانية حول تخصيص الوقت فى حياة العينة موضع الدراسة والتى أرى أنها تمثل عدداً معقولاً من شرائح المجتمع المصرى، أصل الان إلى عدد من الاستنتاجات التى تتصل بمدى استفادة المجتمع المصرى من تخصيص الوقت بالقدر الذى يدعم كيان مجتمعنا فى جوانبه المختلفة.

وأبدأ هنا بثلاث ملاحظات عامة: الأولى، هى أن أهمية عامل الوقت فى حياتنا لاتزال غير واضحة وغير محددّة فى نظر عدد كبير من أبناء المجتمع. ولايزال هذا العامل بعيداً عن اهتمام الكثيرين. وهذا ما اتضح من تسجيل الحالات المدروسة ليومياتهم حيث نجدهم فى كثير من الأحيان لايذكرون «بدقة» تحديد الوقت الذى تستغرقه الأنشطة المختلفة التى يقومون بها، بالرغم من توضيح هذه النقطة لهم حين طُلب منهم تسجيل كل مايقومون به بدقة متناهية.

والملاحظة العامة الثانية هى أن أى تخصيص للوقت يتغيّر فى شهر رمضان بشكل كبير لغير سبب مقنع، سواء فى قدر الوقت المخصص للنوم أو فى توقيته وتوزيعه، أو فيما يتعلق بالوقت المخصص للعمل الذى يكاد يتلاشى نهائياً عند حالة المعيد الذى كان يعمل مايقرب من العشر ساعات فى اليوم فى غير رمضان وقد كان تبريره لذلك هو أن هذا الشهر شهر تعّبد وصلة للرحم. هذا بينما تزيد ساعات الجلوس أمام التلفزيون. وألاحظ هنا أن ماجاء فى القرآن الكريم لايخصّ رمضان وحده بالتعبدّ وصلة الرحم، كما لايذكر شيئاً عن إنقاص لساعات العمل فى هذا الشهر، وإنما كان واضحاً فيما يخصّ القدرة أو عدم القدرة على الصيام وكيفية التصرف فى حالة عدم القدرة على ذلك.

أما الملاحظة الثالثة، فهى أن أغلب الحالات لاتخضع لنظام يومى محسوب وإنما وفق مايستجد من ظروف وحالات مزاجية، بمعنى أن الزيارات واللقاءات والخروج لايتمّ وفق مواعيد وقرارات مسبقة وإنما يتمّ بصورة فجائية غير منتظمة. وليس هذا فحسب، بل يمكن القول أن كافة الأنشطة الاجتماعية والثقافية والترويحية تتمّ بصورة عشوائية ومتغيرة، اللهم فيما عدا النشاط الدينى الذى يعدّ، تقريباً، النشاط الوحيد الذى يخضع لنظام يومى فى انفاق الوقت.

وربما كان من المناسب أن أشير هنا إلى أن مجتمعات الدول النامية ينقصها تنظيم الوقت، فالمفهوم الاجتماعى الجديد للوقت (الذى يربط الوقت بالانتاج) لايزال غير واضح فى أذهاننا

بالرغم من أنه العامل الأساسى الذى كان وراء التطور فى المجتمعات الغربية. على أننا يجب أن ندخل فى الأعتبار أن تعميم استخدام الوقت (من هذا المنظور) بشكل يعكس درجة نضج الحضارة الغربية، كان نتيجة لمسيرة تاريخية طويلة لتلك المجتمعات. وهذا يعنى فى الواقع أن أى تحول أو تغيير فى هذا الصدد لابدّ ان يتمّ فى المقام الأول على المستوى الثقافى والذهنى، بحيث يصبح الأمر في حقيقته عملية تحوّل يمكن أن تؤدي إلى الحالة التى أطلق عليها ڤيبر Weber تسمية ethos والتى يعنى بها «أسلوب الحياة»(٣٣).

وأنتقل الآن إلى الملاحظات على الجوانب المختلفة لتخصيص الوقت، وهنا ألاحظ فى مجال الأنشطة الاضطرارية أن الوقت المخصص للممارسات والأنشطة الفيزيقية (النوم والأكل والحمام) تتم بشكل عادى دون اقلال أو إفراط ملحوظ. وإن كنت ألاحظ أن أغلب أفراد العينة يزيدون الوقت المخصص للنوم فى مناسبة يوم العطلة الأسبوعى فلايستيقظون إلاّ متأخراً فى هذا اليوم، وهكذا يتداخل مفهوم الوقت المخصص للنوم مع مفهوم الوقت المخصص للترويح أو لغيره، والذى كان يمكن أن يقضيه الفرد فى ممارسة نوع من التغيير الايجابى: رحلة، ممارسة هواية .. الخ.

وفيما يخصّ المجموعة الثانية من الأنشطة الاضطرارية، وهى التى تخصّ العمل ومايتّصل به، فإن الملاحظة الأساسية هنا هى أن أصحاب الأعمال الحّرة يقومون بدورهم بشكل ايجابى سواء فيما يخّص عدد ساعات العمل التى قد تصل إلى عشر ساعات فى اليوم أو فى جديّته التى تستغرق الفرد استغراقاً كبيراً بحيث «ينسى نفسه» كما عبّر أحد الذين يتعاملون في ميدان العمل الحّر – وهو أمر نستطيع أن نردّه إلي أكثر من سبب، من بينها الاقتناع الشخصى بأن أى مجهود فى هذا المجال يعطى عائده المادى بشكل يمثل المقابل الحقيقى للمجهود – وهذا بدوره يعطى عائداً أدبياً من حيث أنه يؤدى إلى قدر من الرضا النفسى المطلوب. ومن بين هذه الأسباب كذلك اقتناع الممارس بأن العائد المادى (بما يتبعه من العائد الأدبى) يزداد بمرور الوقت نتيجة لازدياد الخبرة واتساع دائرة التعامل. وعلى عكس ذلك نجد قسماً كبيراً من الوقت المهدر فى العمل الحكومى، قد يزيد عن نصف ساعات العمل فى بعض الأحيان. وأحد أسباب ذلك ربما يكمن فى قصور الراتب الحكومى فى عمومه عن تغطية تكاليف الحياة بالشكل المعقول أو المطلوب بحيث لايتناسب مع قدر العطاء المنتظر من الموظف أو العامل الحكومى فى مقابلها. ومن هنا عبارة «على قدّ فلوسهم» التى تشيع فى هذا الوسط. وكذلك فإن «الروادع» اللازمة لوضع حدّ للتسيّب لايمكن أن تنفّذ بطريقة جادة إذا أخذنا فى اعتبارنا هذه الحالة من القصور المادى. وهكذا يمكن أن نقول فى ختام الحديث عن هذه المجموعة من الأنشطة أنها لانستفيد منها بالقدر الكافى فى تدعيم كياننا فى هذا الجانب.

أما عن ثالث مجموعة فى هذا الشق الاضطرارى من الأنشطة والممارسات وهى الأنشطة الاجتماعية، فالملاحظ فيها انها تكاد تقتصر على دائرة محدودة وضيقة، وهى دائرة الاتصال بالأقارب والأصدقاء والزملاء، ولاتتجاوز ذلك إلى الدائرة الأوسع التى تمثل الأنشطة الاجتماعية العامة فى المجتمع، مثل الجمعيات ذات الأهداف الاجتماعية أو الخيرية أو نشر الوعى الصحى أوغيرها - ودليل ذلك أنه لم توجد سوى حالة واحدة من حالات عينة الدراسة الخمس عشر (الأستاذ الجامعى) الذين ينتمون إلى هذه الدائرة الواسعة لهذه الأنشطة العامة. وربما يكون السبب فى ذلك هو أنها لايزال ينظر إليها، إلى حدّ كبير، على أنها أنشطة كمالية أو مظهرية يقوم بها أفراد الطبقة الراقية الذين يتسع وقتهم لمثل هذه الأمور. ومعنى هذا فى الحقيقة هو أن كياننا لايزال يفتقر إلى نقاط التماسك الايجابى التى تكفى للارتفاع به فى هذا الجانب فوق اتجاهات التبلور أو التقوقع فى كيانات صغيرة داخل الكيان العام للمجتمع.

فإذا انتقلنا إلى الشق الاخر من هذه الأنشطة وهو الذى يتصل بتحقيق الذات متمثلاً فى علاقة الإنسان بخالقه وعلاقته بنفسه وجدنا الممارسات والأنشطة الدينية تشغل مساحة معقولة من حياة المجتمع تكفى فى رأيى، لحفظ توازنه الروحى، ولكن الأمر يختلف قليلاً فى حالة الأنشطة الثقافية العامة (التى لايشكل جزءاً من العمل كما فى حالات الأستاذ والمعيدين بالجامعة)، ابتداءً من انعدامها كلياً فى بعض الحالات، وتدّرجها بشكل غيرمتوازن نحو قراءة نشطة فى الطرف المقابل. وأرى أن هذا القدر من النشاط لايرقى إلى درجة الكفاية وبخاصة إذا تذكرنا أن قراءة الجرائد لاتستغرق عند بعض الحالات سوى ساعة مرة أو مرتين فى الأسبوع. وربما كان أحد الأسباب هنا هو أن التلفزيون يقدّم نشرة الأخبار عدة مرّات فى اليوم. كما أنه يحتوى على بعض البرامج الثقافية، وإن كان أصحاب حالات الدراسة لم يذكروا أى تفاصيل فى هذا الصدد.

فإذا إنتقلنا إلى الوقت المخصص للأنشطة الفنية وجدنا تراجعاً غير عادى، فمن بين الحالات الخمس عشر، رأينا أن ثلاثة فقط هم الذين يخصصون وقتاً لهذا النوع من النشاط، أما الحالات الأخرى فثلاثة، أيضاً، من أصحابها يمارسون الفن بحكم عملهم أو امتداداً لهذا العمل، ومن ثمّ لايدخلون بشكل ايجابى فى هذا المجال. أما البقية الغالبة وهى تسع حالات لاتهتم بالنشاط الفنى إطلاقاً - وهكذا فإن تخصيص الوقت فى هذا المجال يشكّل هبوطاً حاداً فى تحقيق الذات.

وأصل أخيراً إلى المجموعة الأخيرة من الأنشطة التى تتعلق بتحقيق الذات، وهى الأنشطة الترويحية. ولى ملاحظتان على أنواع النشاط المدرجة تحت هذا العنوان: إحداهما تقودنى إلى التقليل من إيجابية عدد من هذه الأنواع، إذ هى تشكل قدراً من اختلاط الأمور وعدم وضوح التصوّر فى مجال هذا التخصيص. وقد رأينا فى هذا الصدد، مثلاً، أن شرب الشاى والتدخين

وأكل الحلويات أو الوقوف فى البلوكونة يعد عملاً ترويحياً مع أنه لايشكل الإيجابية اللازمة لتحقيق الذات، ونجد فى حالة شرب الشاى والتدخين أنها تتحول إلى مايشبه الطقس اليومى لمدة ساعة، كما يدخل فى الاسترخاء كعامل أساسى عند جميع الحالات. أما الملاحظة الثانية فهى أن كل حالات المجموعة يخصصون لهذه الأنشطة، مهما كان نوعها وقتاً (يوميا فى أغلب الأحوال) يصل طوله إلى حدّ ملموس، قد يكون خمس ساعات يومياً (مشاهدة التلفزيون مثلاً). وإذا كان من بين أنشطة هذه المجموعة مايسهم فى تحقيق الفرد لذاته فى حالات قليلة: المشى والتمشية، سماع الموسيقى الهادئة، اللعب بالكومبيوتر (مع الأولاد). وفيما عدا هذا النوع الأخير، فإن غياب الهوايات بشكل ظاهرة تنطبق على كل الحالات - وهكذا، مرة أخرى، نجد الوقت المخصّص لإحدى مجموعات النشاط لاتقوم بدورها المطلوب فى تحقيق الغرض من تخصيص الوقت لها.

وتبقى كلمة أخيرة فى هذه الدراسة، وهى ان تخصيص الوقت فى مجتمعنا وتصّور هذا التخصيص لايزال فى حاجة إلى وقت طويل وإلى اهتمام كبير وإلى توعية مكثفة حتى يصل إلى القدر الكافى من الوضوح الذى لايشوبه تداخل أو رؤية غير واضحة من جهة، وحتى يصل، من جهة أخرى إلى الايجابية فى نوع النشاطات التى تدخل فى إطار التخصيص الزمنى بحيث لايصبح هذا التخصيص اسماً بلا مضمون أو دلالة حقيقية.

الحواشـــي

(١)- يمنى طريف الخولي: إشكالية الزمان في الفلسفة والعلم في «ألف» مجلة البلاغة المقارنة، العدد التاسع، الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٨٩، ص ص ٩ - ١١.

(2) John Hassard: Introduction, The Sociological Study of Time, (in) The Sociology of Time (ed.John Hassard) University of Keele, The Macmillan Press LTD 1990. p.1.

(3) Op.cit, p.3

(4) Op.cit, p.p. 3, 4.

(5) Op.cit, p.4.

(6) Op.cit, p.p 4, 5.

(7) Elliot Jaques: The Enigma of Time , (in) The Sociology of Time, p. 27.

(8) Lienhardt, G., :Social Anthropology , Home University Libbray , London 1964, p.p. 41 - 43.

مقتبس في: أحمد أو زيد: البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع الجزء الثاني ، الأنساق، دارالكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧، ص ٤٥.

(٩) أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص ٤٩.

(١٠) ذاته، ص ٥٠.

(١١) ذاته، ص ٥٧ - ٥٨.

(12) Bronislaw Malinowski: Time - reckoning in The Trobriands, (From B, Malinowski, "Lunar and Seasonal Calendar in The Trobriands" Journal of The Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, 56 -57, 1926 - 27, p.p. 203 - 15) , in , The Sociology of Time p. 204.

(13) Op.cit, p. 206 - 207.

(14) Op.cit, p., 208.

(15) Bossada Rachid: Le Temps Social dans La Culture Algerienne - et ses Incidences quant aux, Transformations: Thèse presenté a L'université René Descartes des Scineces Humaines, Sorbonne, Paris V, 1989, p. 237.

(16) Op.cit, p. 241.

(17) L.Gardet, A. J.Gurevich (and others): Cultures and Time, The Unesco Press , Paris, 1976, p. 215.

(18) Halbwachs, M. : Les Memoires Collectives, PU F (Presse Universitaire de France), Paris, 1968, p. 110.

(١٩) روي بورتر: تاريخ الزمان (في) فكرة الزمان عبر التاريخ، المشرف على التحرير ، جون جراني، ترجمة فؤاد كامل، عالم المعرفة، العدد ١٥٩، مارس (آذار) ١٩٩٢ ص ٨.

(٢٠) المرجع ذاته، ص ١١.

(21) P.Sorokin and R. Merton: Social - Time: A Methodological and Functional Analysis, American Journal of Sociology , Vol 42, 1937, pp. 615 - 29) (in) The Sociology of Time, p. 56.

(22) Op.cit, p. 57.

(23) Op.cit, p.p. 57 - 58.

(24) Op.cit, p. 58.

(25) Op.cit, p. 59.

(٢٦) سورة العصر، آية : ١ - ٢.

(٢٧) سورة الجمعة ، آية ١٠.

(28) George Esdras Bevans, "How Workingmen Spend Their Spare Time" (Columbia University Press; New York, 1913) , p. 11.

مقتبسة في:- Pitirim Sorokin , and Clarence Q. Berger: Time - Budgets of Human Behavoir, Cambridge Harvard University Press (Mass., U.S.A) 1939, p. 9.

(29) Op.cit, p.9.

(30) Op.cit, p. 13.

(31) Op.cit, p. 14.

(32) Op.cit, p. 23.

(33) Bossada Rachid : op.cit, Preambule , p. I.